معـــــروف الأرناؤوط

صاحب جريدة « فتى العرب » وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

للاســـتاذ برهان الدين الداغستاني

توفى الأستاذ الكبير السيد معروف الأرناؤوط ، أحد كبار رجال الصحافة والعلم والأدب فى دمشق ، وانتقل إلى دار الخلود بعد أن أبلى كثيراً فى سبيل رفع شأن أمته ورقى بلاده ، وجاهد طويلا بقلمه ولسانه فى جريدته « فتى العرب » التى كان يبذل فى سبيلها من ذات نفسه وماله الشيء الكثير . كما كان عضواً بارزاً ذا أثر بالغ فى المجمع العلمى العربى بدمشق .

توفى — رحمه الله — والصحافة المصرية فى شبه حمى مما تذيعه وتنشره صباح مساء من تفاصيل دقيقة مما أحاط باغتيال «غاندى» وما إلى اغتياله من أساليب إحراقه وتأريث النار تحت جثته ! ...

نعم كانت الصحافة هنا فى شغل شاغل بنشر هذه التفصيلات الدقيقة لما توفى إلى رحمة الله ذلك الصحفى العربى ، والكاتب الأديب الأستاذ معروف الأرناؤوط ، فلم يتنبه لموته أحد ، ومرنعيه هادئاً هنا من غير جلبة ولا ضوضاء ، حتى أن الكثير من أصدقائه وخلصائه فى مصر — وهم بحمد الله كثر — لم يعلم بموته ولم يقرأ خبر نعيه المنشور فى « أهرام » يوم الأحد أول فبراير سنة ١٩٤٨

كان الأستاذ معروف الأرناؤوط حركة دائبة ، كثير الطواف والتجوال ، فقد زار كل بقعة من البلاد العربية ، وقابل كل ملوكها وأمرائها وقادة الرأى فيها ، وكتب الكثير عن هذه البلاد وأهل هذه البلاد ، وكان يناصر بقلمه كل حركة تقوم فى أى بلد من بلاد العروبة والإسلام للدعوة إلى الحرية ونيل الاستقلال .

كان — رحمه الله — خفيف الظل ، عذب الروح ، سريع البديهة حاضر النكتة ، برماً بما تعارفه الناس فى مجتمعاتهم من قيود ورسوم وتكاليف ، كثير المرح ، يشيع فى مجلسه الحركة ورفع الكلفة ، يشعر جليسه لأول مرة أنه صديقه من أمد بعيد ، وأنه يعرفه معرفة وثيقة ! .

كنت أسمع باسم معروف الأرناؤوط ، وأقرأ له كثيراً ، ولكن لم أكن رأيته ، فلما كنت فى دمشق صيف سنة ١٩٤٣ ذهبت إلى لقائه فى دار « فتى العرب » فوجدته جالساً فى الفهى الصغير المجاور لدار «فتى العرب» ، فى ذلك المتنفس الواسع الجميل بين دار البلدية ودار الحكومة ، وما كدت أسلم وأجلس معه حتى شعرت بأنى مع شخص أعرفه من قديم ! ، وكنت عجلا لقضاء بعض المهام فأنسانى ما ينتظرنى من عمل ، وطالت جلستنا ، وتشعب الحديث وذهب كل مذهب ، فكان رحمه الله فى أحاديثه شديد التحمس للعروبة والأمة العربية ، قوى الايمان بقدرة هذا الشعب على القيام بالدور المقدر له أن يقوم به فى ركب الحضارة . وبعد أن أخذ على العهد أن أزوره فى فترة أخرى ، ودعته وفارقته ، ولكن لم تسنح لى فرصة زيارته مرة ثانية ، فكانت تلك الزيارة هى الأولى والأخيرة .

ولكن تلك الفترة التى قضيتها مع الأستاذ معروف الأرناؤوط فى ذلك الفهى الصغير المتواضع تركت فى نفسى أثراً لا ينمحى عن خلق الفقيد وكرم نفسه ، وحلاوة حديثه وخفة روحه ، فكنت أذكره كثيراً ، وأتمنى لو تتاح لى فرصة لقائه مرة أخرى ، حتى قرأت فى « أهرام » يوم الأحد أول فبراير سنة ١٩٤٨ نعيه ، فحزنت عليه ، وبكته نفسى . رحمه الله رحمة واسعة .

الأستاذ معروف الأرناؤوط ثالث أديب كبير ترزأ به البلاد العربية وتفقده الصحافة العربية ، والأدب العربى والقارىء العربى فى أقل من شهر ، ففى مطلع الفجر من يوم الثلاثاء الثالث عشر من يناير سنة ١٩٤٨ فجعت الصحافة العربية بعميدها طيب الذكر أنطون الجميل باشا ، فبكته أحر بكاء ، وقبل أن يجف الدمع عليه أو يلتئم جرح القلوب على فقده ، فجعت بأديب العربية غير مدافع الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبى ، فقد ذهب إلى لقاء ربه فى مطلع الفجر من يوم الخميس الثانى والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨ ، فحرك موته كوامن الأسى وجدد الحزن والألم ، فبكته الصحافة العربية أحر بكاء !.

وفى الساعات الأخيرة من ليلة الجمعة الموافق ثلاثين يناير سنة ١٩٤٨ لفظ الأستاذ معروف الأرناؤوط أنفاسه الأخيرة ، وسكنت تلك الحركة الدائبة أثر سكتة قلبية ، قضى ثلاثتهم فى غضون ثمانية عشر يوماً . فى حالات متشابهة أصبح مايكونون أجساماً أثر سكتة قلبية أحسن الله عزاء البلاد العربية عن فقدهم ، وعوضها خيراً !

برهان الدين الداغستانى